# *TEFSİR III*

## *DOÇ. DR. YAHYA YAŞAR*

### تفسير مقاتل بن سليمان

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً اَوْ اَشْتَاتاًۗ....﴿٦١﴾سورة النور

: وكانت بنو ليث بن بكر لا يأكل الرجل منهم حتى يجد من يأكل معه أو يُدْرِكَهُ الجَهْدُ فيأخذ عنزة له فَيَرْكُزَها و يُلْقِيَ عليها ثوبا تحرجا أن يأكل وحده، فلما جاء الإسلام فعلوا ذلك، وكان المسلمون إذا سافروا اجتمع نفر منهم فجمعوا نَفَقاتِهِمْ وَطَعامَهُمْ في مكان فإن غاب رجل منهم لم يأكلوا حتى يرجع صاحِبُهُمْ مخافة الإثم، فنزلت «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا» إن كنتم جماعة «أَوْ أَشْتَاتًا» يعني متفرقين

ج

## تفسير الطبري جامع البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :( إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ )١ (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ )٢ (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ )٣

يقول تعالى ذكره : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ (يا محمد )الْكَوْثَرَ واختلف أهل التأويل في معنى الكوثر، فقال بعضهم :هو نهر في الجنة أعطاه الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم.

حدثني يعقوب، قال :ثنا هُشَيْمٌ،، قال :أخبرنا عطاء بن السائب، عن محارب بن دِثَارٍ، عن ابن عمر :أنه قال" :الكوثر: نهر في الجنة، حافتاه من ذهب وفضة، يجري على الدُّرِّ والياقوت، ماؤه أشدّ بياضا من اللبن، وأحلى من العسل."

حدثنا ابن حُمَيْدٍ، قال :ثنا جرير، عن عطاء، عن محارب بن دثار الباهلي، عن ابن عمر، في قوله : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال" :نهر في الجنة حافتاه الذَّهَبُ، ومجراه على الدرّ والياقوت، وماؤه اشدّ بياضا من الثلج، وأشدّ حلاوة من العسل، و تُرْبَتُهُ أطيب من ريح المسك."

حدثنا ابن بَشَّارٍ، قال :ثنا عبد الرحمن، قال :ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال :الكوثر: الخير الكثير.

**وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي**، قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعْطِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في الجنة، وَصَفَهُ الله بالكثرة، لعِظَم قَدْرِهِ.

---

**وقوله) :فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**

**اختلف أهل التأويل** في الصلاة التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصليها بهذا الخطاب، وَمَعْنَى قَوْلِهِ : وَانْحَرْ فقال بعضهم: حضه على المواظبة على الصلاة المكتوبة، وعلى الحفظ عليها في أوقاتها بقوله : فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ.

**وأولى هذه الأقوال عندي** بالصواب :قول من قال: معنى ذلك: فَاجْعَلْ صَلاتَكَ كُلَّهَا لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نَحْرُكَ اجعله له دون الأوثان، شكرا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كُفْءَ له،

فتأويل الكلام إذن :إنا أعطيناك يا محمد الكوثر، إنعاما منا عليك به، وَتَكْرِمَةً منا لك، فأخلص لربك الْعِبَادَةَ، وأفرد له صَلاتَكَ و نُسُكَكَ، خلافا لما يفعله من كَفَرَ به، وعبد غيره،و نَحَرَ للأوثان

وقوله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ)

يعني بقوله جل ثناؤه: (إِنَّ شَانِئَكَ) إن مُبْغِضَكَ يا محمد وَعَدُوَّكَ (هُوَ الأبْتَرُ) يعني بالأبتر: الأَقَلَّ وَالأَذَلَّ الْمُنْقَطِعَ دَابِرُهُ، الذي لا عَقِبَ له.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بذلك، فقال بعضهم: عُنِيَ به العاص بن وائل السهميّ.

*ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) يقول: عدوّك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال: هو العاص بن وائل.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال :إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أن مُبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأَقَلُّ الأَذَلُّ، الْمُنْقَطِعُ عَقِبُهُ، فذلك صِفَةُ كُلِّ من أبغضه من الناس، وإن كانت الآيَةُ نزلت في شَخْصٍ بعينه.

## حسين بن مسعود البغوي / معالم التنزيل

(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ )٣١

قَوْلُهُ تَعَالى(: يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ )قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: كَانَتْ بَنُو عَامِرٍ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ" :يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ"، يَعْنِي الثِّيَابَ .قَالَ مُجَاهِدٌ :مَا يُوَارِي عَوْرَتَكَ وَلَوْ عَبَاءَةٌ.

قَالَ الْكَلْبِيُّ :الزِّينَةُ مَا يُوَارِي الْعَوْرَةَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ لِطَوَافٍ أَوْ صَلَاةٍ.

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا )قَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَتْ بَنُو عَامِرٍ لَا يَأْكُلُونَ فِي أَيَّامِ حَجِّهِمْ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا قُوتًا وَلَا يَأْكُلُونَ دَسَمًا، يُعَظِّمُونَ بِذَلِكَ حَجَّهُمْ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ :نَحْنُ أَحَقُّ

أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ" :وَكُلُوا "يَعْنِي اللَّحْمَ وَالدَّسَمَ "وَاشْرَبُوا "اللَّبَنَ (وَلَا تُسْرِفُوا ) بِتَحْرِيمِ مَا أَحِلَّ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ اللَّحْمِ وَالدَّسَمِ، (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ )الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ .قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ خَصْلَتَانِ سَرَفٌ وَمَخِيلَةٌ .قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ :قَدْ جَمَعَ اللَّهُ الطِّبَّ كُلَّهُ فِي نِصْفِ آيَةٍ فَقَالَ" :كلوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا."

# تفسير الماتريدي / تأويلات أهل السنة

سُورَةُ الضُّحَى، هي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: (وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١).(

قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: **(وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى).**

قَالَ بَعْضُهُمْ: الضحى: هو ضَوْءُ النهار، كقوله: (وَضُحَاهَا)، أي: ضوءها.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: هو ساعة من النهار، وهي من أول النهار، ويقال: صلاة الضحى، وهي عند ضحوة النهار.

ومنهم من يقول: هو كناية عن الحر؛ كقوله: (أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى)، إلى قوله: (وَلَا تَضْحَى)، أي: لا يصيبك الحر، والله أعلم.

ومنهم من يقول: هو كناية عن النهار كله، أقسم به، وبالليل الذي ذكر.

فإن كان المراد من الضحى هو ضَوْءُ النهار، ومن (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى): ظُلْمَتُهُ؛ فَيَخْرُجُ الْقَسَمُ به على أن ظُلْمَةَ الليل تَسْتُرُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ في طرفة عين، وكذلك ضَوْءُ النَّهَارِ يَكْشِفُ السِّتْرَ، وَيُجَلِّي بِطَرْفَةِ عَيْنٍ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ، من غير أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ ثِقْلَ ذَلِكَ السِّتْرِ أَوْ خِفَّةَ ذلك الضوء، فأقسم بذلك لعظيم ما فيهما من الآية.

وإن كان المراد منه نَفْسَ الليل والنهار؛ فالقسم بهما لما جُعِلَ فيهما من المنافع الكثيرة.

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: (إِذَا سَجَى) اخْتُلِفَ فيه:

قَالَ بَعْضُهُمْ: إذا استوى.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: إذا سكن وركد.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: (إِذَا سَجَى): إذا غَشِيَ وأظلم، وغطى كُلَّ شيء و سَتَرَ، وهو من التَّسَجِّي وَالتَّسَتُّرِ؛ يقال: تَسَجَّى قَبْرُ المرأة؛ إذا تَسَتَّرَ وَتَغَطَّى.

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: **(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)** على هذا وقع القسم، ثم اختلف في السبب الذي لأجله نزل هذا:

قَالَ بَعْضُهُمْ: إن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - كان سُئِلَ عن شيء إِذْ طلبوا منه شيئا، فقال: أفعل ذلك غدا، أو أجيبكم عنه غدا، ولم يستثن؛ فَاحْتُبِسَ عَنْهُ الْوَحْيُ أياما لذلك؛ فقال المشركون: ودَّعه رَبُّهُ وقلاه، أي: تركه وأبغضه.

ومنهم من قال: إنه أبطأ عليه الوحي، فَجَزِعَ جزعا شديدا، فقالت له خديجة - رضي اللَّه عنها -: " إني لأرى قلاك ربك وودعك "؛ مما ترى من جَزَعِهِ؛ فنزل قوله: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى).

ولسنا ندري كيف كان الأمر؟ فإن كان نزل ذلك لقول قريش، فالقسم يحتمل كذلك؛ ردا لقولهم.

والقول الثاني: أنه نزل لقول خديجة - رضي اللَّه عنها - فهو غَيْرُ محتمل؛ لأن خديجة تعلم أن اللَّه - تعالى - لم يودعه ولا قلاه، وكذا كُلُّ مؤمن معتقد أن اللَّه - تعالى - لا يودع أحدا من رسله.

ولأنها تُصَدِّقُ الرَّسُولَ- عليه السلام - أنه لم يودعه ولا قلاه إذا أخبرها بغير قسم؛ فلا معنى للقسم؛ فدل أن هذا الوجه غير محتمل .

ثم صَرْفُ تَأْوِيلِ الْآيَةِ إلى غير ما قالوا أَشْبَهُ عندنا وأقرب مما قالوا، وهو أنه - عليه السلام - بُعِثَ إلى الفراعنة والجبابرة الذين كانت هِمَّتُهُمْ قَتْلَ من خالفهم، وَإِهْلَاكَ من استقبلهم بالخلاف، ولم يكن معه فَضْلُ مَالٍ وَسَعَةٌ يَسْتَمِيلُ بِهِ قُلُوبَ الناس؛ فيقول أُولَئِكَ الكفرة: إن ربه قد خذله وتركه وقلاه، حيث بعثه إلى من ذكرنا من الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم القتل وعادتهم إهلاك من خالفهم بلا أنصار ولا أعوان من الملائكة، وَلَا مَالٍ وَسَعَةٍ يَسْتَمِيلُ بِهِ الْقُلُوبَ وَالْأَنْفُسَ؛ لأن مَنْ سَلَّمَ إِنْسَانًا إِلَى أَعْدَائِهِ الَّذِينَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَعْدَاؤُهُ، وَيُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَعْدَاءِ بِلَا أَنْصَارٍ وَلَا أَعْوَانٍ وَلَا مَالٍ وَسَعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا- يقال: إنه قد خذله وتركه وقلاه؛ إذ لا يفعل ذلك في الأصل إلا لذلك؛ فعند ذلك قالوا: إنه ودعه وقلاه، وهو ما قالوا: (لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا)، وقولهم: (لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)، ونحو ذلك مما قالوا، فلولا صَرْفُ أهل التأويل تَأْوِيلَ الآية إلى ما ذكروا، وإلا صَرْفُهُ إلى ما ذكرنا أشبه.

وفي قولهم: " قد ودعه ربه " دلالة أنهم قد عرفوا أنه رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - وأقروا بذلك حتى قالوا؛ فنزل قوله: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ).

والثاني: أنه لو كان يَخْتَرِعُ على ما كانوا يقولون أُولَئِكَ، لكان لا يَحْتَبِسُ عن الاختراع، وَيَكُونُ يَخْتَرِعُ أبدًا؛ حتى لا يقولوا: " إنه ودَّعه "؛ فدل ظُهُورُ احتباس الوحي: أنه عن أَمْرٍ يُخْبِرُ، وأنه مأمور بذلك، ثم أخبر أنه لم يُبْعَثْ إلى هَؤُلَاءِ الفراعنة والجبابرة لما ذكر أُولَئِكَ الكفرة أنه خذله وتركه وقلاه، ولكن بَعَثَهُ

وَهُوَ يَنْصُرُهُ وَيُعِينُهُ عَلَى تَبْلِيغِ مَا أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ إِلَى مَنْ أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ، ولم يَقْلُهُ، ولكنه اصطفاه واختاره؛ حتى يَعْلُوَ أَمْرُهُ، وَيَكْثُرَ ذِكْرُهُ، وفي ذلك آية عظيمة على إثبات الرسالة، وهو ما ذكرنا أنه بُعِثَ إلى من هِمَّتُهُمُ القتل والإهلاك لمن خالفهم، فقهرهم جميعا، وغلب على الكل حتى أظهر الإسلام فيمن قَرُبَ منه ومن بَعُدَ.

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: **(وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤)**

يقول: مع ما أُعْطِيتَ في الدنيا من الشرف وَالذِّكْرِ والغلبة على الفراعنة، فالآخرة خير لك من الأولى؛ يُرَغِّبُهُ في الآخرة، ويُزَهِّدُهُ في الدنيا.

أو يقول: إن أولى لك أن يكون سَعْيُكَ للآخرة؛ فهو خير لك من الأولى، وهو كقوله - تعالى -: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) (*الإنشقاق)/6*.

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: **(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)**

أي: لَتُعْطَى في الآخرة ما ترضى من الكرامة والشرف.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: أي: ولسوف يعطيك ربك فترضى في الدنيا من الذكر والشرف والمنزلة والغلبة على الأعداء.

وَيَحْتَمِلُ: يُعْطِيَكَ في أمتك ما ترجو وتأمل من الشفاعة لهم وترضى.

ويقول بعض الناس: إن أرجى آية هذه؛ حيث وعد له أنه يُعْطِيَهُ ما يرضى، ولا يرضى أن يكون أُمَّتُهُ في النار.

ومنهم من قال: أرجى آية قوله - تعالى -: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا)، وهو قول ابْنِ مسعود، رضي الله عنه.

وعندنا أرجى الآيات هي التي أمر اللَّه - تعالى - رُسُلَهُ بالاستغفار للمؤمنين، وكذلك ما أَمَرَ الملائكة بالاستغفار لهم؛ فاستغفروا لهم *{قُلْ يَا عِبَادِيَ*

*الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}[الزمر: 53] وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ اِلَّا لِيُطَاعَ بِاِذْنِ اللّٰهِ وَلَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّٰهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّٰهَ تَوَّابًا رَحِيمًا(nisa 64)*

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: **(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦)** **بِهِ شَيْنٌ : قُبْحٌ، عَيْبٌ**

ما ذُكِرَ من الأحوال التي ذَكَرَ فيه من قوله: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) الآية، وقوله تعالى: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ)، ونحو ذلك من الأحوال التي ذَكَرَ فيه وهي في الظاهر أَحْوَالٌ تُذْكَرُ لِلشَّيْنِ فِيمَنْ تقال فيه، لكن في ذِكْرِ مَا ذَكَرَ فيه من الأحوال: ذِكْرُ بشارة لرسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - بالنصر له والعون؛ وَآيَةٌ له على رسالته ونبوته؛ لأن نَفَاذَ الْقَوْلِ وغَلَبَةَ الأمر مع الأحوال التي ذُكِرَ - أَعْظَمُ في لْأُعْجُوبَةِ من نفاذه في حال السَّعَةِ وحال قوة الأسباب وتأكيدها.

أو أن يكون قوله: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩)، ونحوه، لأن أُولَئِكَ الكفرة كانوا يَنْسِبُونَهُ إلى الافتراء والاختراع من ذات نفسه، فأخبر أن اليتيم والفقير ليس يَبْلُغُ في العلم والمعرفة الْمَبْلَغَ الذي يقدر على الاختراع وإنشاء الشيء من نفسه على وَجْهٍ يعجز عن مثله جَمِيعُ الخلق؛ لِمَا لا يجد ما يُنْفِقُ في ذلك، ويتحمل من الْمُؤَنِ حتى يبلغ مَبْلَغَ الاختراع، وكذلك ما ذَكَرَ حيث قال: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ. . .) الآية؛ لأنهم قالوا: (إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ)، وَالْبَشَرُ إنما يتعلمون بالكتابة والخط، فإذا لم يكن لرسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - شَيْءٌ من ذلك؛ دلَّ أنه باللَّه - تعالى - عرف وحده .

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى)، أي: وجدك يتيما فآواك.

ثم يحتمل قوله: (فَآوَى) وجوها:

أَحَدُهَا: وجدك يتيما فَآوَاكَ إلى عمك حتى ربَّاك ودفع عنك كُلَّ أَذًى وَآفَةٍ، وساق إليك كُلَّ خير وبر، إلى أن بَلَغْتَ المبلغ الذي بلغت.

والثاني: يقول: قد وجدك يتيما فَآوَاكَ إلى عدو من أعدائك حتى تولى تَرْبِيَتَكَ وَبِرَّكَ، وعطف عليك، وتولى عنك دَفْعَ الْمَكْرُوهِ والأذى، يَذْكُرُ مِنَّتَهُ وَعَظِيمَ نِعَمِهِ عليه أنه كان ما ذَكَرَ، ثم صير عدوا من أعدائه أَشْفَقَ الناس عليه وَأَعْطَفَ، والله أعلم .

والثالث: قد وجدك يتيما فآواك إلى نفسه، وعطف عليك حتى اختصك واصطفاك للرسالة والنبوة؛ حتى صرت مذكورا في الدنيا والآخرة، وحتى أَحْوَجَ جَمِيعَ الناس إليك، وليس ذلك من أمر اليتيم أنه يَبْلُغُ شَأْنُهُ وَأَمْرُهُ إلى ما بلغ من أمرك وشأنك حتى صرت مخصوصا من بين الناس جميعا، فيما ذكرنا من اختصاصه إياك بالرسالة، وَأَحْوَجَ جَمِيعَ الناس إليك؛ يَذْكُرُ عَظِيمَ مننه ونعمه عليه.

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: **(وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى** (٧) هذا يخرج على وجوه:

أحدها: يقول - والله أعلم -: لولا أن الله تعالى هداك لدينه، ووفقك له، وإلا وجدك ضالا؛ إذ كان نُشُوءُهُ بين قوم ضلال، لم يكن أحد يهديه ويدعوه إلى الله تعالى، ولكنه هداك وأرشدك، فلم يجدك ضالا، وهو كقوله - تعالى -: (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا. Âl-i İmrân103)، أي: لولا أنه أنقذكم منها، وإلا صرتم على شفا حُفْرَةٍ من النار لو لم يُنْقِذْكُمْ منها، وكقوله: (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا İsra 74)؛ لأن البشر أُنْشِئَ وَطُبِعَ على الرُّكُونِ والميل إلى النعم العاجلة، واختيار الأيسر والألذ، ولكنه بفضله ولطفه ثَبَّتَكَ وعصمك، ولم يَكِلْكَ على ما طُبِعْتَ وَأُنْشِئْتَ في أصل الْخِلْقَةِ ؛ فعلى ذلك نقول في قوله: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى)، أي: لولا أنه هداك؛ وإلا وجدك ضالا لو لم يهدك، ففيه أنه هداه ولم يجده ضالا.

والثاني: يقول: ووجدك ضالا لا ضلال كسب واختيار، ولكن ضَلَالَ الخلقة التي أنشئ عليها الْخَلْقُ، والضلال بمعنى الجهل؛ لأن الخلق في ابتداء أحوالهم يكونون جهالا، لا جهل كسب يُذَمُّونَ عليه، أو يكون لهم علم يُحْمَدُونَ عليه، ولكن جَهْلُ خلقة وَضَلَالُ خلقة؛ لما ليس معهم آلَةُ درك العلم؛ فلا صُنْعَ له في كسب الجهل، فأما بعد الظفر بآلة العلم يكون الجهل مكتسبا؛ فَيُذَمُّ عليه، وكذا العلم؛ فيترتب عليه الْحَمْدُ وَالذَّمُّ؛ فعلى هذا يكون قوله - تعالى -: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى)، أي: وجدك جاهلا على ما يكون في أصل الخلقة وحالة الصِّغَرِ فهداك، أي: عَلَّمَكَ، وهو كقوله - تعالى -: (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا. . .şura 52)، وقوله - تعالى -: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ. . .ankebut 48)، يذكر أنه لم يكن يدري شيئا حتى أدراه وعلَّمه .

والثالث: يقول: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا)، أي: غافلا عن الأنباء المتقدمة وأخبارهم حتى أطلعك اللَّه - تعالى - على ذلك، كقوله: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ Yusuf 3).

أو يقول: ووجدك في أمر القرآن أو ما فيه جاهلا غافلا عن علم ذلك، فأعلمك.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا)، أي: وجدك بين قوم ضلال فهداك، أي: أخرجك من بينهم ما لو لم يُخْرِجْكَ من بين أَظْهُرِهِمْ، لَدَعَوْكَ إلى ما هم عليه، ويجبرونك على ذلك، ولم يرضوا منك إلا ذلك، واللَّه أعلم.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا) من طريق مكة فهداك الطريق.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا) حَقِيقَةَ الضلال، فهداك للتوحيد.

لكن هذا [وخش من القول]؛ إذ لا يليق به أن ينسب إلى ذلك.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا) عن النبوة أي: جاهلا، فهداك للنبوة، وهو قريب مما ذكرناه.

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: **(وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨)** أي: فقيرا فأغناك بما أراك من أمر الآخرة، وما يسوق إليك من نعيمها، أي: بما أعد له في الآخرة، وما وعد له من النعيم والكرامات هانت عليه الدنيا، حتى ذُكِرَ أن الدنيا لم تكن تعدل عنده - عليه السلام - جَنَاحَ بعوضة؛ ولذلك رُوِيَ أن الغنى غنى القلب.

وَيَحْتَمِلُ أنه جعل فيه حالا بلطفه أغناه؛ كما روي عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - أنه نهى عن الوصال، فقيل: أنت تواصل، يا رسول اللَّه؟ فقال - عليه السلام -: " أنا لست كأحدكم؛ إن ربي يطعمني ويسقيني "؛ فجائز أن يكون لله - عَزَّ وَجَلَّ - فيه لُطْفٌ أغناه به، وإن لم يُطْلِعْنَا عليه، واللَّه أعلم.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: أغناك بمال خديجة، رضي اللَّه عنها.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: فأغناك، أي: فأرضاك بما أعطاك من الرزق، وأقنعك.

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: **(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩)** وفي حرف ابن مسعود - رضي الله عنه -: " فأما اليتيم فلا تكهر "، فالكهر: الزجر، كأنه قال: فلا تزجر.

وجائز أن يكون قوله: (فَلَا تَقْهَرْ)، أي: لا تمنع حقه، وادفع إليه حقه وماله.

أو يكون ذكر هذا، يقول: كنت يتيما ورأيت حال اليتيم؛ فلا تقهر اليتيم؛ فيكون على الصلة لقوله: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى)، فلا تقهر اليتيم بعد ذلك.

**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ( ١٠)**

أي: كنت محتاجا فقيرا، فعرفت محل الفقر والحاجة وشِدَّةَ حاله؛ فلا تنهر السائل -أي: لا تَزْجُرْهُ- ولكن أعطه.

وجائز أن يكون الأمر لا على النهي، ولكن على الأمر بالبر لهَؤُلَاءِ والإعطاء لهم.

وجائز أن يُرَادَ من نَفْيِ شَيْءٍ إِثْبَاتُ ضده، كقوله - تعالى -: (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ)، أي: خسرت، وعلى هذا الحديث، وهو ما روي عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: " إذا أتاكم السَّائِلُ فلا تقطعوا عليه مَسْأَلَتَهُ، حتى يَفْرُغَ منها، ثم ردوا عليه برفق وَلِينٍ، إما بِبَذْلٍ يَسِيرٍ، أو برد جميل؛ فإنه قد يأتيكم من ليس بإنسٍ ولا جِنٍّ؛ يرى كيف صَنِيعُكُمْ فيما خَوَّلَكُمُ اللَّه تعالى."

وقال قوم: تزويج اليتيم قَهْرُهُ؛ لما فيه من الاستذلال والإضرار؛ فلم يجوزوه من غير الأب والجد، وأجازوا بَيْعَ ماله من وصيه إن كان وَصِيَّ الأب أو وصي أمه في تَرِكَتِهَا؛ فدل أن تزويج اليتيم ليس من قهره في شيء، وقد روي عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - أنه زَوَّجَ بِنْتَ حَمْزَةَ سلمة بْنَ أبي سلمة، وهو صغير يتيم، وزوج ابْنُ عمر بنت أخيه وهي صَغِيرَةٌ، وزوج عُرْوَةُ ابنته من مُصْعَبٍ وهي صَغِيرَةٌ.

وقهر اليتيم في ظلمه والاعتداء عليه، وليس في التزويج ذلك .

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: **(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** (١١) يحتمل وجهين:

أحدهما: يقول: حَدِّثْهُمْ بنعم اللَّه - تعالى - التي أنعم عليهم؛ لِيَعْرِفُوا وَيَفُوا بما فيه شُكْرُهَا.

أو يقول: حَدِّثْهُمْ بما أنعم اللَّه عليك، وهو هذا القرآن؛ إذ القرآن من أعظم ما أنعم اللَّه عليه، فَأمِرَ بِتَحَدُّثِ ما عليه من النعم؛ ليعرفوا عَظِيمَ ما أنعم اللَّه عليه من الاختصاص لهم؛ حيث جعلهم من أمته ومن قومه.

أو أمِرَ بأن يَقْرَأَهُ و يُحَدِّثَ بما فيه.

وقد روي عن أبي رجاء العطاردي قال: خرج علينا عمرانُ بنُ حصين وعليه مُطرَفٌ منْ خَزٍّ، لم نره عليه قبل، ولا بعد، فقال: إن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - قال: " إن اللَّه - تعالى - إذا أنعم على عبد نِعْمَةً يحب أن يرى أثرَ نعمته عليه."

وعن عطية عن أبي سعيد عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: " إن اللَّه - تعالى - جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثرَ نعمته على عبده، ويبغض البُؤسَ والتبؤس."

وعن أبي الأحوص عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -: " من أعطاه اللَّه - تعالى - خيرا؛ فلْيُرَ عليه، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَارْضُخْ مِنَ الْفَضْلِ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، ولا تعجز عن نفسك."

وعن يحيى بن عبد اللَّه عن أبيه عن أَبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: " إذا بسط اللَّه - تعالى - عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَلْتُرَ عَلَيْهِ" يعني به: الصَّدَقَةَ والمعروف، وقول ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: " وابدأ بمن تعول " دليل عليه.

قال أهل الأدب: عَالَ: افْتَقَرَ، وَأَعَالَ، أي: كَثُرَ عِيَالُهُ، ويقال: أَسْجَيْتُهُ: أَسْكَنْتُهُ، وقالوا: الانتهار: الكلام الْخَشِنُ. وصلى اللَّه على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

## ابن كثير / تفسير القرآن العظيم

﴿إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اِعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨)﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي أخبرنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عروة عن عائشة، قال: قلت أَرَأَيْتِ قول الله تعالى. ﴿إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما﴾؟ قلت: فوالله ما على أحد جُنَاحٌ أن لا يطّوّف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي إنها لو كانت على ما أَوَّلْتَهَا عليه كانت فلا

جناحعليه أن لا يَطَّوَّفَ بهما، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يُسْلِمُوا كانوا يُهِلُّونَ لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند الْمُشَلَّلِ (٣)، وكان مَنْ أَهَلَّ لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية. فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما﴾ قالت عائشة: ثم قد سن رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما أخرجاه في الصحيحين.

وقد تقدم قوله «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي» فقد بين الله تعالى أن الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله، أي مما شرع الله تعالى لإبراهيم في مناسك الحج، وقد تقدم في حديث ابن عباس، أن أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وترددها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها لما نَفِدَ ماؤهما وزادهما حين تركهما إبراهيم هنالك، وليس عندهما أحد من الناس، فلما خافت على ولدها الضَّيَاعَ هنالك، ونَفِدَ ما عندهما، قامت تطلب الغوث من الله ، فلم تزل تَتَرَدَّدُ في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة، متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله ، حتى كشف الله كُرْبتها، وآنس غربتها، وَفَرَّجَ شدتها، وأنبع لها زمزم التي ماؤها «طَعَامُ طُعْمٍ، وَشِفَاءُ سَقَمٍ» فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وَذُلَّهُ وحاجته إلى الله، في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه، وأن يلتجئ إلى الله ، لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم، وأن يُثَبِّتَهُ عليه إلى مماته وأن يُحَوِّلَهُ من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي، إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر .